

دبلوماسية التحرر الفلسطينية

فاطمة بضري

طالبة باحثة كلية العلوم القانونية والاجتماعية والاقتصادية- سلا

andalusia_01@hotmail.com

تقوم الدبلوماسية بدور مهم في نطاق العلاقات الخارجية وتدعيمها، فيها يمكن التوفيق بين المصالح المتعارضة ووجهات النظر المتباينة عبر الحوار دون اللجوء إلى وسائل الإكراه، كما ويمكن بواسطتها للدول أن توطد مركزها وتعزز نفوذها في مواجهة الدول الأخرى. وأسوة بالدول سعت حركات التحرر الوطني والمجتمعي في ممارستها لدبلوماسية التحرر، إلى الدخول في لعبة التوازنات الدولية لصوغ شبكة من العلاقات تمدها ليس فقط بالدعم المادي، وإنما أيضا بالشرعية بحكم تمتعها باعتراف دول ومنظمات إقليمية ودولية¹.

أما بالنسبة لحركات التحرر المجتمعي والتحرر الوطني، فإن الدبلوماسية تظل أداة لخدمة هدف محدد وهو تحقيق التحرر، وبالتالي خضوع دبلوماسية التحرر لمتطلبات هدف التحرر وليس العكس. وفي الحالات التي يتم فيها إخضاع باقي أدوات التحرر (العنفية وغير العنفية) لخدمة الدبلوماسية، تتحول هذه الأخيرة من دبلوماسية تحرر إلى دبلوماسية علاقات عامة لا تقدم المطلوب منها على مستوى تحقيق هدف التحرر.

تعتبر الثورة الفلسطينية إحدى أبرز حركات التحرر الوطني في القرن العشرين. حيث ظهرت أولى فصولها العنفية في عقده الثالث تم بتحددت في ثلثة الأخير. وقد كانت الدبلوماسية حاضرة منذ انطلاقة الثورة الفلسطينية إذ اضطلعت بدور مهم في توفير الدعم المادي والسياسي لضمان استمرارية الثورة. وعرفت دبلوماسية التحرر الفلسطينية محطات فارقة من بين أهمها- إن لم تكن أهمها على الإطلاق إلى الآن- اتفاقية أوسلو التي كان لها بالغ التأثير ليس فقط على مسار دبلوماسية التحرر الفلسطينية وإنما على مسار القضية الفلسطينية ككل.

1- دبلوماسية المواجهة الفلسطينية قبل اتفاقية أوسلو:

تمكنت الدبلوماسية الفلسطينية عبر مسيرة طويلة من النجاح من تحويل قوى كبرى وتكتلات إقليمية ودولية تدعيم أهدافها أو حتى قبول جزء من برنامجها والمتمثل في تحرير كامل التراب الفلسطيني. إذ حصل هناك تغيير كبير في مواقف بعض التجمعات الدولية من منظمة التحرير الفلسطينية كمثل شرعي ووحيد للشعب الفلسطيني.

1 محمد عوض، السياسة الخارجية الأردنية في النظرية والتطبيق، دار النشر والتوزيع، الطبعة الأولى، عمان 1999، ص: 23.

– الخيط العربي:

شكل البعد العربي للقضية الفلسطينية أهمية خاصة لدى القيادات الفلسطينية، وذلك إدراكا منها أهمية هذا البعد وحيويته في مجال إدارة الصراع العربي الإسرائيلي، وكذلك نتيجة للارتباط العضوي بين فلسطين والدول العربية.

فعلى الجانب العربي اعتبرت غالبية الدول العربية إن لم نقل جميعها إن القضية الفلسطينية تشكل أحد أهم مواضيعها في مجال السياسة الخارجية، وذلك انطلاقا من قومية القضية من ناحية، ولانعكاساتها الأمنية على الأمن القومي العربي من ناحية أخرى – فالكيان الصهيوني يشكل خطرا على الأمة ومصالحها العادية والعليا – لذلك فلا غرابة أن تحتل القضية الفلسطينية مكانة هامة في أحندة جل القمم العربية، وان تستحوذ على حصة مهمة من قراراتها².

وعلى الجانب الفلسطيني أولت منظمة التحرير الفلسطينية اهتماما خاصا ومركزيا للبعد العربي، وذلك انطلاقا من رؤيتها للارتباط القائم بين فلسطين ومحيطها العربي. وذهب الميثاق الوطني الفلسطيني إلى اعتبار الوجود العربي في ذاته مرهون بمصير القضية الفلسطينية، وان تحرير فلسطين هو واجب قومي تتحمل مسؤولياته كاملة الأمة العربية شعوبا وحكومات وفي طليعتها الشعب الفلسطيني³.

تشكل القناة العربية عنصرا هاما للدبلوماسية الفلسطينية إذ من خلالها تتمكن من النفاذ إلى القنوات الإقليمية والدولية على حد سواء، ويرجع ذلك إلى كون الدول العربية تشارك في أكثر من محفل دولي وإقليمي، مما منح الدبلوماسية الفلسطينية دفعة قوية لبلورة العديد من المواقف داخل المنظمات الدولية تجاه قبول وتبني الأهداف الفلسطينية. إلا أن الخلافات العربية- العربية حول القضية الفلسطينية وغيرها من القضايا، والخلافات العربية الفلسطينية التي ظهرت في بعض الأحيان على شكل صراعات مسلحة (الخلاف الأردني الفلسطيني 1970-1971) من جهة، والتدخل العربي عبر تنظيمات أوجدتها في الساحة الفلسطينية من جهة أخرى، كل هذا أسهم بالضرورة في إحداث خلل واضح في مسار الدبلوماسية الفلسطينية وأعاق تقدمها⁴.

– المجال الدولي:

لا شك في أن العامل الدولي يشكل عنصرا هاما في حل أي نزاع، لكن وزن وأهمية هذا العامل تختلف حسب خصوصية كل نزاع. وبالنسبة للقضية الفلسطينية يعتبر المجال الدولي الأهم لتحرك الدبلوماسية الفلسطينية نظرا للدور الذي لعبه في نشأة إسرائيل من ناحية، واستمرار الدعم والتأييد لها من ناحية أخرى. وهو ما فرض على الدبلوماسية الفلسطينية أن تولي هذا العامل أهمية خاصة، تتناسب وحجم تأثيره على مجريات الصراع العربي الإسرائيلي. إذ يشكل تحاوب القوى المشكلة لهذا المجال مكسبا هاما للدبلوماسية الفلسطينية،

2 . عبد الفتاح عودة، السياسة الخارجية لمنظمة التحرير الفلسطينية 1964-1982، أطروحة دكتوراه الدولة في القانون العام، كلية الحقوق الدار البيضاء، فبراير 1988، ص: 154-155-156.

3 . خالد الحسن، الاتفاق الأردني الفلسطيني، أوراق سياسية 13، دار الكويت للصحافة، ص: 46.

4 . عبد الفتاح عودة، مرجع سابق، ص: 159.

يساعدها على تحقيق أهدافها، بينما يشكل الموقف السلبي لتلك القوى كإنجا سواء من خلال تأثيره المباشر على مسارها، أو من خلال تأثيره على قوى إقليمية ودولية لتقف موقفا إيجابيا إزاء التعامل مع الموضوع الفلسطيني الذي تمثله منظمة التحرير الفلسطينية.

وبالفعل لقد ساهمت دبلوماسية التحرير الفلسطينية في تحقيق إنجازات كبيرة، فقد نالت الثورة الفلسطينية من التعاطف والتأييد السياسي كما الدعم المادي والمالي ما لم تحققه ثورة أو حركة تحرر أخرى. وشملت دائرة التأييد لنضال الشعب الفلسطيني المحيط العربي والإسلامي والإفريقي والمعسكر الاشتراكي كما حققت منظمة التحرير الفلسطينية اعترافا دبلوماسيا غير مسبوق وصل أوجه في مطلع الثمانينيات عندما نالت الثورة اعتراف أكثر من مئة دولة، إضافة إلى اعتراف عدد من المنظمات الإقليمية والدولية. تحققت هذه الإنجازات في فترة كان فيها الأداء السياسي والعسكري الثوري الفلسطيني في أوجه، وبالرغم من أن الإنجازات العسكرية للثورة الفلسطينية كانت متواضعة إلا أن حجم التضحيات البشرية التي قدمها الشعب الفلسطيني شكلت إحدى أهم مركات الدبلوماسية الفلسطينية⁵.

– بوادر الأزمة:

رغم المكاسب التي حققتها منظمة التحرير الفلسطينية باعتبارها واجهة حركة التحرير الفلسطينية، إلا أن احتارها لسلسلة من المواجهات على مستوى قواعد تواجدتها في دول الطوق العربية خلال فترة السبعينيات والثمانينيات أدى إلى تغيرات مهمة طالت المنظمة وذلك كنتيجة حتمية لمأسسة أي نظام ثوري.

وبالخروج من لبنان سنة 1982، فقدت الثورة الفلسطينية واحدة من أهم ركائزها العسكرية والسياسية والشعبية⁶، وبذلك بدأت مرحلة اخذ فيها الخيار الثوري والكفاح المسلح بالتراجع لصالح خيار التسوية السياسية إلى درجة أصبح فيها هو الخيار الاستراتيجي للدبلوماسية الفلسطينية فيما بعد.

وفي حريف 1987 اشتعلت الانتفاضة الفلسطينية الأولى، والتي أعادت للقضية الفلسطينية حيويتها بعد فترة الركود التي عرفت بعد مرحلة بيروت، حيث أخذت صدى كبيرا لدى الرأي العام الدولي، وذلك باعتبارها ظاهرة سياسية مميزة بسلاح غير خاضع لشروط التسليح التقليدي أو للتوازنات الإقليمية والدولية⁷، بل أن تعبير الانتفاضة اقتحم القاموس السياسي المعاصر في جميع اللغات بالرغم من وجود تعابير مترجمة تفيد نفس المعنى. وقد شكلت الانتفاضة فرصة تاريخية لإعادة بناء الحركة الوطنية الفلسطينية لكن منظمة التحرير تعاملت معها كأداة لحصد مكاسب سياسية في عملية التسوية مما ساهم في إخمادها مبكرا.

5. علي فياض، مقارنة بين التجريبتين التفاوضيتين الفلسطينية والفيتنامية، بيروت: مجلة الدراسات الفلسطينية، العدد 48، حريف 2001.

6. هيلينا كوبان، المنظمة تحت المجهر، لندن: منشورات هاي كوالتي، الطبعة الأولى، ص: 350-351.

7. عدنان السيد حسين، التسوية الصعبة، مركز الدراسات الإستراتيجية والبحوث والتوثيق، الطبعة الأولى، بيروت 1998، ص: 74.

2- الدبلوماسية الفلسطينية الموجهة بعد اتفاقية أوسلو:

عرفت مرحلة أواخر الثمانينيات وبداية التسعينات بداية التحول في دبلوماسية التحرر الفلسطينية، حيث شهدت هذه المرحلة انتقال مركز الثقل في العمل الفلسطيني من الخارج نحو الداخل، كما شهدت الساحة الإقليمية والدولية تطورات غاية في الأهمية⁸ ألقت بظلالها على حجم تأثير منظمة التحرير بشكل خاص وعلى حجم الاهتمام الذي كانت تتلقاه القضية الفلسطينية بشكل عام. كل هذه العوامل ساهمت في سقوط قيادة المنظمة في فخ ما سمي بـ: التسوية السلمية للتراع في الشرق الأوسط، وبالتالي توقيعها لاتفاقية سلام حولت علاقتها بدول العالم إلى علاقة دبلوماسية عادية تحرمها من الامتيازات الممنوحة لمنظمات التحرر الوطني. بموجب القوانين والأعراف الدولية.

أطلق مؤتمر مدريد مفاوضات ثنائية مباشرة بين الأطراف العربية وإسرائيل، وانخرط الجانب الفلسطيني في هذه المفاوضات ضمن الوفد الأردني، ثم اخذ يستغل إسرائيليا حتى وصل إلى ثنائية إسرائيلية- فلسطينية في المفاوضات التي عقدت في واشنطن من الجولة الأولى في نوفمبر 1991 إلى الجولة التاسعة في ابريل 1993 التي تعثرت وانتهت بالفشل. في هذه الأثناء احتضنت العاصمة النرويجية أوسلو مفاوضات غاية في السرية برعاية وزير الخارجية النرويجي يوهان بورغن هولسن جمعت على الجانب الإسرائيلي شيمون بيريز ويوشى بيلين بياسر عرفات ومحمود عباس وأحمد قريع على الجانب الفلسطيني، وبينما فشلت تسع محاولات تفاوضية علنية في واشنطن، نجحت جولات المفاوضات الاثني عشر السرية في أوسلو في التوصل إلى اتفاق هو الأول من نوعه بين الجانبين منذ بداية الصراع⁹. حيث نتج عن الاتفاق ولأول مرة تواجد سلطة وطنية فلسطينية على جزء من التراب الفلسطيني، لكنه في نفس الوقت حمل بوادر صدام هذه السلطة مع بقية مكونات الشعب الفلسطيني.

وإذا كان الأصل في البحث عن التسوية السياسية السلمية بين الأطراف المعنية هو وجود حالة صراعية محتدمة بين تلك الأطراف، فإن تغيب الأساس الصراعي سيؤثر نوعيا في طبيعة التسوية، وسيحولها من تسوية سياسية حادة إلى تسوية سياسية صورية، تكون اقرب إلى ترتيبات إقليمية يقوم بها طرف واحد يمتلك القوة والفعالية. وبالتالي فالحفاظ على شرط الصراع أصل بالغ الأهمية حتى بعد الدخول في مفاوضات مع الطرف الآخر. ومن الطبيعي أن تنخفض حدة الصراع في مراحل معينة لكن توقف الصراع بشكل كلي من شأنه أن ينعكس سلبا ليس فقط على نتائج التسوية وإنما على مستقبل الصراع عامة¹⁰.

8 . لقد أضفى الفضاء الاستراتيجي الإقليمي والدولي مناخا جديدا على الحقل السياسي الفلسطيني اختلف عما ساد في مرحلة الحرب الباردة فقد شهد المحيط العربي بعد حرب الخليج تراجعاً في الدعم الرسمي والشعبي للقضية الفلسطينية، يضاف إلى ذلك فقدان حليف دولي مهم لمنظمة التحرير الفلسطينية بتفكك الاتحاد السوفياتي.

9 jimmy carter, Palestine peace not apartheid, Simon and Schuster new York, 2006, p: 133

10 . علي فياض، مقارنة بين التجريبتين التفاوضيتين الفلسطينية والفيتنامية، بيروت: مجلة الدراسات الفلسطينية، العدد 48، خريف 2001، ص: 136-137.

السلوك التفاوضي الفلسطيني:

الواقع أن التعامل الفلسطيني مع عملية التسوية، قد أتى ليظهر ضعف القيادة الفلسطينية في إدارة العمل التفاوضي، حيث قدم المفاوض الفلسطيني تنازلات مجانية حتى قبل دخول قاعة المفاوضات. وذلك في خطابات القيادة الفلسطينية والتي تتحدث عن نبذ العنف واعتبار التسوية السلمية الطريق الوحيد لحل الصراع¹¹. وقد كانت إستراتيجية القيادة الفلسطينية في المفاوضات هي كلما كنا معتدلين كلما قبل العدو بنا وتيسرت سبل الحل. لكن ما حصل هو تورط منظمة التحرير الفلسطينية في اتفاقية حولت حلم الدولة إلى سلطة حكم ذاتي ليس لها من الدولة إلا أعباؤها ومهامها¹². وبالتالي حرمت الثورة الفلسطينية من عنوانها الثوري كحركة تحرر وطني والذي تمكنت عبره دبلوماسيتها من تحصيل الدعم الدولي منذ نشأتها. وهكذا تحولت علاقة السلطة الوطنية الفلسطينية بالعالم الخارجي إلى علاقة ريعية خاصة مع الممول الأساسي للتسوية (الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد الأوروبي).

لقد مكنت اتفاقية أوسلو إسرائيل من تحويل الأراضي المحتلة إلى أراضي متنازع عليها، يتم التفاوض بشأنها مع سلطة حكم ذاتي اضعف، تجعل الفلسطينيين كنتيجة حتمية يقبلون بدولة البقايا التي تعتزم إسرائيل عزل الفلسطينيين فيها بواسطة السلطة الوطنية الفلسطينية. من خلال إيجاد هذه الأخيرة استطاعت إسرائيل التخلص من مسؤولياتها كسلطة احتلال، في مقابل عجز فلسطيني عن مواجهة هذا الوضع. فالسلطة الوطنية تشكل ممثلاً رسمياً للفلسطينيين، وعليها التزامات ستظل مطالبة بها من قبل إسرائيل وحلفائها. وعلى رأس هذه الالتزامات ضرورة المضي في طريق التسوية السلمية حتى وإن لم يتحقق شيئاً للفلسطينيين¹³. وقد كان استهداف إسرائيل للسلطة الفلسطينية مع بداية الانتفاضة الثانية تصريحاً عن واجب السلطة في توفير الأمن لإسرائيل كشرط لقبولها شريكاً سياسياً¹⁴. هذه الأوضاع ساهمت في خلق علاقة متوترة بين الفلسطينيين وبين ما يفترض أن تكون حكومتهم التي تمثل مصالحهم خاصة مع استئراء الفساد وملاحقة قوى الأمن للمقاومة الفلسطينية خاصة الإسلامية منها.

انشقاق الصف الفلسطيني:

في المرحلة التي تلت اجتياح الضفة الغربية ورحيل الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات، بدت الانتخابات هي المنقذ من حالة الفراغ التي عرفتها الساحة الفلسطينية. فأسفرت الانتخابات الرئاسية عن مجيء الرئيس محمود عباس، وأجريت بعدها الانتخابات التشريعية التي أريد منها الضغط على بعض التيارات داخل حركة فتح إلا أن الجماهير الفلسطينية أرادت أن تعاقب فتح على فشلها في تحقيق أي من وعودها حول تحقيق حلم الدولة الفلسطينية، وعلى استئراء الفساد في أوساط واسعة من السلطة، فانت نتائج الانتخابات بالبديل الأقوى فلسطينياً أي حركة حماس.

وقعت حماس في نفس الفخ التاريخي الذي وقعت فيه حركة فتح عندما تحولت من حركة تحرر وطني إلى حزب السلطة الأمر الذي حرّمها من هامش المناورة وقيد حركتها وحرّمها إلى حد كبير من ممارسة حقها في اللجوء إلى العنف الثوري. وهكذا بدل أن تكتفي

11. نفس المرجع السابق، ص: 139.

12. نصر عارف، هل يستفيد الفلسطينيون من خبرة حركة التحرير الوطني الجزائرية؟، إسلام أونلاين.

13. جميل هلال، مرجع سابق، ص: 96-97.

14. علي الجرباوي، حول الأجندة الخارجية للإصلاح: الحالة الفلسطينية، بيروت: المستقبل العربي، العدد 335، يناير 2007، ص: 86-87.

حماس بالاحتفاظ بأغلبية برلمانية تمكنها من محاربة الفساد ورفض أي تسوية جائرة أو تنازلات قد تقدم عليها مؤسسة الرئاسة، قامت حماس بتشكيل حكومة منفردة وسط جنوح لعدم الإقرار بالأمر الواقع من قبل فتح، ناهيك عن موقف إسرائيلي وغربي لا يعترف بحكومة تشكلها حماس، ويدفعها للالتزام بما التزمت به قبلها حركة فتح هذه المقدمات كانت فاتحة مرحلة مظلمة من التاريخ النضالي الفلسطيني أسفرت عن الانقسام السياسي والجغرافي بين حماس في قطاع غزة وفتح في الضفة الغربية¹⁵.

في ظل ظروف الانقسام السياسي والجغرافي بين التنظيمين الرئيسيين على الساحة الفلسطينية فتح و حماس و افتقاد الشعب الفلسطيني لقيادة سيادة موحدة و انقسام عمقه العربي و الإقليمي في حالة معسكر من التجاذب الحاد بين معسكر يوصف بالاعتدال نسبة لمواقفه من سياسات الولايات المتحدة الأمريكية تجاه المنطقة و دعمه لخيار التسوية مع إسرائيل باعتباره خيارا استراتيجيا و بين معسكر آخر يوصف بالممانعة (نسبة إلى موقفه المعارض للسياسات الأمريكية تجاه المنطقة و دعمه لخيار المقاومة في مواجهة الاحتلال الإسرائيلي و الأمريكي) شنت آلة الحرب الإسرائيلية حملة دموية على القطاع (عملية الرصاص المصبوب) بعد أشهر من الحصار المضروب على مليون و نصف نسمة. وأمام ميزان عسكري شديد الاختلال أصر فلسطينيو غزة على الصمود والخؤول دون أن تحقق إسرائيل أهدافها بإقصاء أو تصفية المقاومة التي تمثلها حكومة حماس وهو ما انتهى إليه العدوان. لكن ما جرى من تحركات سياسية ودبلوماسية بعد العدوان اختزل القضية فيبعدها الأمني (أي مسألة المعابر والإنفاق وتهريب السلاح) وفي بعدها الإنساني (إدخال المساعدات الطبية والغذائية) وإلى قضية الإعمار المربوطة بإقصاء حكومة حماس، وقفز على جوهر القضية المتمثل في الاحتلال¹⁶، وهو ما ظهر بوضوح في مؤتمر شرم الشيخ حيث بدا الأمر وكان غزة منطقة منكوبة بكارثة طبيعية، وليس ساحة يدافع فيها شعب فلسطين العربي عن حقه في الحرية والتحرر الوطني.

3- مستقبل دبلوماسية التحرر الفلسطينية:

طرحنا الظروف التي رافقت عملية الرصاص المصبوب احتمالات مخيفة بإمكانية تصفية القضية الفلسطينية. لكن هذا الطرح يبقى بعيد التحقيق فبالرغم من تحول موازين القوى المادية البحتة لغير صالح الشعب الفلسطيني، فانه يملك قدرات وموارد ودوافع نهائية للنضال ولو وحيدا. ومن ناحية ثانية، فرغم أن الموازين الرسمية للصراع تدهورت ضد مصالح الشعب الفلسطيني فالموازين الشعبية تتحرك لمصلحته وضد إسرائيل والواقع أن ثمة ثورة مكتومة ضد إسرائيل داخل الرأي العام العالمي، فهناك قوى جديدة دخلت لتلعب دورا مهما في الصمود الفلسطيني خاصة على مستوى منظمات المجتمع المدني الفوق وطنية.

- ثورات الربيع العربي والقضية الفلسطينية:

جاءت ثورات الربيع العربي في كل من مصر، وتونس، وليبيا، واليمن، وسوريا، باعثا للأمل بالنسبة للفلسطينيين للتخلص من أنظمة استبدادية باعث القضية الفلسطينية في سبيل تحالفها مع الولايات المتحدة وإسرائيل.

15 . بشير نافع، حماس الطريق إلى الأزمة، مجلة وجهات نظر، العدد 120، يناير 2009، القاهرة، ص: 6.

16 . جميل هلال، بعد الحرب: فلسطين بحاجة إلى بنية سياسية جديدة، مجلة الدراسات الفلسطينية، العدد 77، شتاء 2009، ص: 45.

ومن بين أهم تداعيات ثورات الربيع العربي هو الأمل الفلسطيني في استعادة مصر لدورها الريادي في المنطقة لما تمثله من أهمية في مواجهة التواجد الإقليمي الإسرائيلي. ظهر هذا المعطى الجديد في كيفية تعامل القيادة المصرية الجديدة مع الشأن الفلسطيني - حتى وان لم ترقى إلى مستوى التوقعات الفلسطينية والعربية- فقد أولت مصر اهتماما كبيرا بملف المصالحة الفلسطينية بين فتح وحماس، فضلاً عن بعض المساعدات التي قدمتها حكومة د. مرسى لقطاع غزة¹⁷.

ولعل توقيت عملية عمود السحاب جاء كبالون اختبار إسرائيلي للنظام الرسمي العربي بعد ثورات الربيع العربي كاختبار للموقف المصري. وعكس الأوضاع التي رافقت عملية الرصاص المصبوب، حيث جاءت في ظل نكوص عربي عام وصراع فلسطيني فلسطيني حاد، وهيمنة الوساطة المصرية متمثلة في نظام حسني مبارك على الوضع الفلسطيني بتبعيتها للسياسات الأمريكية بالمنطقة، ووضع إقليمي فيه الكثير من الصمت على الجرائم الإسرائيلية، ووضع دولي مؤيد لسياسات إسرائيل ومزاعمها بشأن إرهابية حركة حماس والمقاومة بشكل عام. لكن الوضع العربي هو اليوم أكثر مساندة للقضية الفلسطينية من ذي قبل، من جهة أخرى اظهر العدوان على غزة مفاجآت على مستوى قدرات المقاومة حيث وصلت صواريخ حركة حماس إلى القدس وصواريخ حركة الجهاد إلى تل أبيب، بالإضافة إلى إصابة عدد من الطائرات الإسرائيلية¹⁸. كما ساهم فشل أهداف عملية عمود الدخان في التخفيف من حدة الخلاف الفلسطيني الداخلي وسرع عملية المصالحة بين الفصيلين فتح وحماس.

كما كان للربيع العربي انعكاساته الإيجابية على الشأن الفلسطيني كان له أيضا جانبه السلبي. إذ برزت إلى السطح إشكالية خطيرة خاصة بعد قيام الحراك السياسي في سوريا، فهذه الأخيرة شكلت لعقود جبهة لدعم المقاومة ضد إسرائيل، سواء إيماناً منها بالمقاومة أو استخداماً منها لهذا الدعم كورقة سياسية للتفاوض. فكان موقف المقاومة مشوشاً بين حق شعب في أن يثور ضد الاستبداد والظلم وطلباً للحرية، وبين نظام ساند تيار الممانعة العربي لفترة طويلة. هذا الوضع ساهم في انقسام آخر في جبهة المقاومة بين داعم لنظام يأخذ شعبه رهينة للشعارات القومية، وبين من اخذ جانب الثورة السورية. ومن التداعيات الخطيرة أيضاً للوضع في سوريا ظهور المسألة الطائفية بشكل انحراف فيه الانتباه عن التناقض الرئيسي الذي تعيشه المنطقة أي الصراع العربي الإسرائيلي إلى صراع بديل سني شيعي تقوم بإذكائه إسرائيل والحلف الغربي بأكمله¹⁹.

وبالرغم من التأثيرات الإيجابية لثورات الربيع العربي على القضية الفلسطينية إلا أن الوضع في سوريا شكل شرخاً وضربة قوية للجبهة المعادية لإسرائيل وللسياسات الأمريكية في الشرق الأوسط.

– الذهاب إلى الأمم المتحدة:

على المستوى الدبلوماسي أعلن محمود عباس نية الرئاسة الفلسطينية الذهاب إلى الأمم المتحدة بهدف الحصول على صفة العضوية للدولة الفلسطينية. هذا الإعلان قابله معارضة أميركية - إسرائيلية شديدة توحى للمتابع بوجود حرب ضارية حول هدف استراتيجي غاية في الأهمية.

17 . سارة محمود خليل، مسارات محتملة: مستقبل القضية الفلسطينية في ظل ثورات الربيع العربي، مجلة السياسة الدولية، عدد فبراير 2013.

18 . عبد الحسين شعبان، غزة وعمود السحاب، مجلة الخليج، عدد نوفمبر 2012.

19 . سارة محمود خليل، مرجع سابق.

ويطرح دعاة الذهاب إلى الأمم المتحدة من الفلسطينيين القضية وكأنهم سيحققون نصرا استراتيجيا للقضية الفلسطينية، أو أنهم سيحققون ما عجز عنه الفلسطينيون عبر سنوات طويلة من التفاوض، فما إن تنال فلسطين صفة «دولة فلسطينية» حتى تخضع إسرائيل و تسلم بوجود دولة فلسطينية²⁰.

من حيث المبدأ فإن الذهاب للأمم المتحدة أمر مقبول ولكن هذا موقف له معنى فقط إذا تبعته إستراتيجية نضالية صدامية، وليس له أي معنى في إطار نفس المنطق التفاوضي الذي جاء كجواب عليه. حيث لا يشكل ضاغطا على إسرائيل لسببين السبب الأول أن التعامل الدولي مع القضية الفلسطينية تغير ويتحمل وزر هذا العرب ومن قام باتفاق أوسلو، حيث لم يعد أمرا سهلا تجنيد المجتمع الدولي لخطوات خارج المفاوضات لأنه تعود وارتضى منطق المفاوضات في التعامل مع الشأن الفلسطيني²¹.

وإذا نظرنا إلى فحوى الطلب الفلسطيني الذي يطالب بدولة فلسطينية في حدود عام 1967، مع الاعتراف بدولة إسرائيل فوق ما تبقى من أرض فلسطين التاريخية، أي دولة فلسطينية على نسبة من الأرض لا تتجاوز 22 في المائة، مع الاعتراف بدولة إسرائيل على نسبة من الأرض تساوي 78 في المائة. وهنا يتحول الأمر من مكسب دبلوماسي إلى خسارة كبيرة للقضية الفلسطينية، فالأمم المتحدة كمرجعية قانونية تعد صاحبة قرار تقسيم فلسطين الذي أعطى الفلسطينيين 45 في المائة من الأراضي الفلسطينية. والحصول على قرار آخر بصيغة جديدة سيشكل هزيمة للفلسطينيين حتى على صعيد قرارات الأمم المتحدة.

وتبرز في الواجهة معارضة إسرائيل الشديدة لطرح الموضوع في الأمم المتحدة من حيث المبدأ، تتبعها معارضة أشد من الولايات المتحدة. الذي يعكس خشية من هذا التحرك الفلسطيني، ليس لأنه يشكل خطرا سياسيا عليهما، بقدر ما لا يريدان إحداث أي تغيير في الوضع القائم. أي استمرار التفاوض الثنائي بين إسرائيل والسلطة الفلسطينية، وهيمنة الطرف الأمريكي كراعي وحيد للمفاوضات. إذ إن الذهاب إلى الأمم المتحدة قد يهدد بدخول طرف جديد في عملية التفاوض، وهو ما ترفضه إسرائيل لأنها ترفض الاحتكام إلى قرارات الأمم المتحدة، وهو ما ترفضه الولايات المتحدة الأمريكية أيضا، لأنها ترفض دخول وسيط آخر سواها في عملية التفاوض. وهذا ما يفسر تهديد الإدارة الأمريكية باستخدام الفيتو، ليس لأنها تخشى من التحرك الفلسطيني ونتائجه. بدليل أن الرئيس الفلسطيني يقول إنه إذا نجحت خطة التحرك التي يعمل عليها، فسيعود بعدها إلى المفاوضات فوراً²².

وبالرغم من المعارضة الداخلية الفلسطينية التي اعتبرت الصيغة التي ستقدم بها الرئاسة تحمل قدرا كبيرا من التفريط في الحقوق التاريخية للشعب الفلسطيني، ذهبت الرئاسة الفلسطينية إلى مجلس الأمن وتم رفض طلبها، فلجأت في خطوة متوقعة للجمعية العامة التي أقرت طلب منح فلسطين مركز دولة مراقبة غير عضو في الأمم المتحدة، كل هذا حول ضجة الذهاب إلى الأمم المتحدة إلى اعتراف معنوي لا يرقى إلى أهمية الضجة التي أثرت حوله.

20 . بلال الحسن، استحقاق أيلول الفلسطيني الغامض حتى الآن، الشرق الأوسط، 19 شتنبر 2011، عدد: 11983 .

21 . لقاء المفكر العربي عزمي بشارة في برنامج حديث الثورة على قناة الجزيرة الفضائية:

<http://www.aljazeera.net/programs/pages/90eed902-433e-4eb7-aee3-4af9614ba122>

22 بلال الحسن، مرجع سابق.